

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف الانبياء والمرسلين  
نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

**قال الله تعالى: خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (7)**

**(سورة البقرة)**

**شرح الكلمات:**

{خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ} طَبَعَ عَلَيْهَا وَاسْتَوَثَّقَ فَلَا يَدْخُلُهَا خَيْرٌ  
{وَعَلَى سَمْعِهِمْ} أَي مَوَاضِعُهُ فَلَا يَنْتَفِعُونَ بِمَا يَسْمَعُونَ مِنَ الْحَقِّ  
{وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً} غِطَاءٌ فَلَا يُبْصِرُونَ الْحَقَّ  
{وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} قَوِي دَائِمٌ

**المعنى الاجمالي :**

ذكر الله تعالى الموانع المانعة لهم من الإيمان فقال: {خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ} أي: طبع عليها بطابع لا يدخلها الإيمان، ولا ينفذ فيها، فلا يعون ما ينفعهم، ولا يسمعون ما يفيدهم.  
{وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً} أي: غشاء وغطاء وأكنت تمنعها عن النظر الذي ينفعهم، وهذه طرق العلم والخير، قد سدت عليهم، فلا مطمع فيهم، ولا خير يرجي عندهم، وإنما منعوا ذلك، وسدت عنهم أبواب الإيمان بسبب كفرهم وجحودهم ومعاندتهم بعد ما تبين لهم الحق، كما قال تعالى: {وَنَقَلْنَا أَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ} وهذا عقاب عاجل.

ثم ذكر العقاب الآجل، فقال: {وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} وهو عذاب النار، وسخط الجبار المستمر الدائم.

و طبع الله على قلوب هؤلاء وعلى سمعهم، وجعل على أبصارهم غطاء؛ بسبب كفرهم وعنادهم من بعد ما تبين لهم الحق، فلم يوفقههم للهدى، ولهم عذاب شديد في نار جهنم. وغطى على قلوبهم؛ فلا تفهم العظة، وعلى أسماعهم؛ فلا تسمع النصح، وعلى أبصارهم؛ فلا ترى الحقيقة.  
وقد يتساءل بعض الناس إذا كان هذا هو حكم الله على الكافرين؟ فلماذا يطلب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ َ الإيمان منهم وقد ختم الله على قلوبهم؟! ومعنى الختم على القلب هو حكم بالآخرة يخرج من القلب ما فيه من الكفر. ولا يدخل إليه الإيمان. .

نقول أن الله سبحانه وتعالى غني عن العالمين. . فإن استغنى بعض خلقه عن الإيمان واختاروا الكفر. . فإن الله يساعده على الاستغناء ولا يعينه على العودة إلى الإيمان.

إن الذين كفروا. . أي ستروا الإيمان بالله ورسوله. . هؤلاء يختم الله بكفرهم على آلات الإدراك كلها. . القلب والسمع والبصر. والقلب أداة إدراك غير ظاهرة. . وقد قدم الله القلب على السمع والبصر في تلك الآية لأنه يريد أن يعلمنا منافذ الإدراك. وهكذا يعلمنا الله أن منافذ العلم في الإنسان هي السمع والأبصار والأفئدة. . ولكن في الآية الكريمة التي نحن بصدددها قدم الله القلوب على السمع والأبصار. . أن الله يعلم أنهم اختاروا الكفر. . وكان هذا الاختيار قبل أن يختم الله على قلوبهم. . واختم على القلوب. . معناه أنه لا يدخلها إدراك جديد ولا يخرج منها إدراك قديم. . ومهما رأت العين أو سمعت الأذن. . فلا فائدة من ذلك لأن هذه القلوب مخنومة بخاتم الله بعد أن اختار أصحابها الكفر وأصروا عليه. إذن فهؤلاء الذين اختاروا الكفر وأصروا عليه وكفروا بالله رغم رسالاته ورسله وقرآنه. . ماذا يفعل الله بهم؟ أنه يتخلى عنهم. ولأنه سبحانه وتعالى غني عن العالمين فإنه ييسر لهم الطريق الذي مشوا فيه ويعينهم عليه.

أن الناس أربعة أصناف : كافر ، ومنافق ، ومؤمن ، ومسلم عاصي ، ولكل واحدٍ من أولئك قلبه الخاص به ، ومن طبع عليه من الكفار والمنافقين:

فهو طبع كلي ، لا يدخل إليهم نور الإسلام ، ولا يخرج منهم ظلمة الكفر ، وأما الطبع على قلب المسلم العاصي : فهو بحسب ما ارتكب من ذنوب يكون حاله ، وهو دائر بين قليين ، وقد يصل حاله لقلب المنافق - أو الكافر - ، وذلك بحسب زيادة المعاصي تأثير المعاصي في قلبه ، وتكاثرها عليه .

**القلوب تنقسم إلى ثلاثة أقسام:**

القلب الأول: القلب سليم، وهو الذي يقبله الله تعالى يوم القيامة، وهو الذي ينجو صاحبه يوم القيامة: {يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ \* إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ} 13، سليم من الشهوات، سليم من الشهوات، سليم من البعد عن الله - سبحانه وتعالى -..

والقلب الثاني: القلب الميت: وهو قلب الكافر والمنافق الذي لا يفرق بين الخير والشر، ولا بين الحسن والقبيح، الذي يقوده هواه، الذي تكون الدنيا أكبر همه ومبلغ علمه، الذي يعبد الشيطان.

والقلب الثالث: وهو القلب المريض الذي فيه خير وشر، وفيه حسن وقبيح، فمرة يقبل على الله، ومرة يقع في المعصية، فلأيهما كان الغلبة كان؛ وعليه فلينظر كل واحد منا من أي الأقسام قلبه..

**أسباب قسوة القلب والغلظة والفظاظة:**

- 1- الغفلة عن ذكر الله وتدبر القرآن.
- 2- كثرة المعاصي.
- 3- التفريط في الفرائض وانتهاك الحرمات.
- 4- الانشغال بالدنيا والاعتماد على طلبها والمنافسة عليها.
- 5- التعصب للرأي وكثرة الجدل.
- 6- الابتداع في الدين.

**من أمراض القلوب:**

- 1- النفاق 2- الرياء 3- مرض الشبهة والشك والريبة 4- سوء الظن
- 5- الحسد والغيرة 6- الكبر والإعجاب بالنفس واحتقار الآخرين
- والاستهزاء بهم 7- الحقد والغل 8- اليأس 9- الهوى ومحبة غير الله
- 10- الخشية والخوف من غير الله 11- الوسواس 12- قسوة القلوب
- 13- التحزب لغير الحق.

## الفوائد:

- 1- بيان سنة الله تعالى في أهل العناد والمكابرة والإصرار بأن يحرمهم الله تعالى الهداية، وذلك بتعطيل حواسهم حتى لا ينتفعوا بها فلا يؤمنوا ولا يهتدوا.
- 2- التحذير من الإصرار على الكفر والظلم والفساد الموجب للعذاب العظيم.
- 3- ولكن لماذا يختم الله جل جلاله على قلوبهم؟ . . لأن القلب هو مكان العقائد.
- 4- إذا عمى القلب عن قضية الإيمان . فلا عين ترى آيات الإيمان . . ولا أذن تسمع كلام الله . . وهؤلاء الذين اختاروا الكفر على الإيمان لهم في الآخرة عذاب عظيم.
- 5- الختم على القلوب بمعنى عدم وعي الحق، وإلقاء الغشاوة على المسامع والأبصار: بمعنى عدم فهمهم للقرآن إذا تلى عليهم.
- 6- تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودا عودا، فأى قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء حتى تصير على قلبين، أبيض مثل الصفا، فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض.
- 7- الطبع على القلوب يكون على قلوب الكفار ، وعلى قلوب المسلمين العاصين ، فأما الطبع على قلوب الكفار : فهو طبعٌ على القلب كله ، وأما الطبع على قلوب المسلمين العاصين : فيكون طبعاً جزئياً ، بحسب معصيته ، وفي كل الأحوال ليس الطبع ابتداء من الرب تعالى ، بل هو عقوبة لأولئك المطبوع على قلوبهم ، أولئك بما كفروا ، والآخرون بما عصوا.
- 8- الشيطان يتحين الفرص التي يدخل منها على قلب العبد المؤمن، فمن ذلك الشهوات والغضب والحرص على الدنيا والتهالك عليها والحسد والبخل وخوف الفقر وسوء الظن بالمسلمين، كل ذلك من مداخل الشيطان التي يحاول أن يدخل منها إلى القلب، فليبتعد المسلم عن هذه الآفات.

- 9- إن من الأمراض التي تصيب القلوب كثيرة، ولكن يجمعها مرضان: مرض شهوة، ومرض شبهة، وقد ذكر الله مرض الشهوة في قوله تعالى: {فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ}.  
10- أهل القلوب الطائفة الحجة الذاكرة لله العظيم ، رفعهم الله سبحانه إلى أعلى المقامات ، وشرفهم بقرئه فحازوا أرفع الدرجات ، ونور قلوبهم بمعرفته ، فنالوا كل المني والغايات ، وبصرهم بجماله وجلاله.
  - 11- خُصَّ القلب بالختم لِأَنَّهُ محلُّ الفهمِ والعلمِ.
  - 12- أن صمود القلب أمام ما يطرقه من فتن الشبهات والشهوات ، وثباته في مواقف الفتن : هو من أعظم أسباب هدايته ، وحفظ صحته ، وأن تعرضه للفتن ، واستجابته لها : هو من أعظم أسباب ضلاله وفساد حاله .
  - 13- علاج أمراض القلوب:
    - 1- كمال محبة الله: بأن يكون حبه لله، وفي الله.
    - 2- الإخلاص.
    - 3- حسن المتابعة: بأن يكون عمله واعتقاده وفق ما أمر الله ورسوله.
    - 4- ذكر الله.

علامات صحة القلب وسلامته:

    - 1- أنه لا يزال يضرب على صاحبه حتى يتوب إلى الله وينيب.
    - 2- أنه لا يفتّر عن ذكر ربه، ولا يسأم من عبادته.
    - 3- أنه يجد لذة في العبادة أكثر من لذة الطعام والشراب.
    - 4- أن يكون همه لله وفي ذات الله، وهذا مقام رفيع.  - 14- أن الله سبحانه وتعالى أمر بتطهير القلب، وتنقيته، وتركيبته، بل جعل الله سبحانه وتعالى من غايات الرسالة الحميدة تركيبة الناس، وقدمها على تعليمهم الكتاب والحكمة لأهميتها، يقول الله تعالى: {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ} [الجمعة:2].
- والله اعلم .....
- وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

## خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً

سلسلة تفسير القرآن العظيم الإصدار رقم ( 388 )



هذا هو الحق



فَوَائِدُ مِنْ تَفْسِيرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ آيَةِ ٧

تهدى ولا تباع

ولا تنسوننا من صالح دعائكم

أعدّها عزمي إبراهيم عزين